

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تاج الدين ابن السُّبكي في طبقات الشافعية الكبرى :

عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ أَبُو الْحَسَنِ الْجُرْجَانِيُّ

قاضي جُرجانَ ثم قاضي الرِّيِّ ، وَالْجَامِعُ بَيْنَ الْفِئَةِ وَالشَّعْرِ ، لَهُ دِيْوَانٌ مَشْهُورٌ .

وَكَانَ حَسَنَ الْخَطِّ ، فَصِيحَ الْعِبَارَةِ ، وَهُوَ مُصَنِّفُ كِتَابِ الْوَسَاطَةِ بَيْنَ الْمُتَنَبِّ وَخِصُومِهِ .

وَرَدَ نَيْسَابُورَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ مَعَ أَخِيهِ فِي الصَّبَا وَسَمِعَا عَلَى الشُّيُوخِ .

ذَكَرَهُ الشُّيْخَانِ أَبُو إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيُّ وَقَالَ : كَانَ فَقِيهًا شَاعِرًا . وَأَبُو عَاصِمٍ وَقَالَ : صَنَّفَ كِتَابًا فِي الْوَكَالَةِ وَفِيهِ أَرْبَعَةُ آلَافِ مَسْأَلَةٍ .

قَالَ وَحَكَى عَنِ الْمُزَنِيِّ : أَنَّ التَّوَكِيلَ فِي الظَّهَارِ وَالرَّجْعَةَ لَا يَجُوزُ ، قُلْتُ : وَهُوَ وَجْهٌ مَشْهُورٌ .

وَقَدْ وُلِّيَ أَبُو الْحَسَنِ هَذَا قَضَاءَ جُرجانَ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الرِّيِّ وَوَلِيَ قَضَاءَ الْقَضَاةِ بِهَا .

ذَكَرَهُ أَبُو مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِيُّ فِي الْيَتِيمَةِ فَقَالَ : حَسَنُهُ جُرجانَ ، وَفَرَدُ الزَّمَانِ ، وَنَادَرُهُ الْقَلْكَ ، وَإِنْسَانٌ حَذَقَ الْعِلْمَ ، وَدُرَّةُ تَاجِ الْأَدَبِ ، وَقَارِئُ عَسْكَرِ الشَّعْرِ .

يَجْمَعُ خَطَّ ابْنِ مُقَلَّةٍ إِلَى نَثْرِ الْجَاحِظِ وَنَظْمِ الْبُحْتَرِيِّ ، وَيَنْظُمُ عِقْدَ الْإِتْقَانِ وَالْإِحْسَانَ . وَلَهُ يَقُولُ الصَّاحِبُ :

إِذَا نَحْنُ سَلَّمْنَا لَكَ الْعِلْمَ كُلَّهُ فَدَعْ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ نَنْظِمُ شُدُورَهَا

هَذَا بَعْضُ كَلَامِ الثَّعَالِبِيِّ فِي خَبْرِهِ .

وَمِنْ شِعْرِ أَبِي الْحَسَنِ السَّائِرِ فِي الْأَفَاقِ [ثُمَّ ذَكَرَ بِسَنَدِهِ آيَاتًا مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مِنْ قَوْلِهِ : يَقُولُونَ لِي فَيْكَ انْقِبَاضٌ ... إِلَى قَوْلِهِ : وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانَ . ثُمَّ قَالَ] :

لِلَّهِ هَذَا الشَّعْرُ مَا أَبْلَغَهُ وَأَصْنَعَهُ ، وَمَا أَعْلَى عَلَى هَامِ الْجُوزَاءِ مَوْضِعَهُ ، وَمَا أَنْفَعَهُ لَوْ سَمِعَهُ مِنْ سَمِعَهُ ، وَهَكَذَا فَلْيَكُنْ وَإِلَّا فَلَا أَدَبَ كُلِّ فَقِيهِ ، وَلِثَلْ هَذَا النَّاطِمُ يَحْسُنُ النَّظْمَ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ ، وَعِنْدَ هَذَا يَنْطِقُ الْمُنْصِفُ بِعَظِيمِ الثَّنَاءِ عَلَى ذَهْنِهِ الْخَالِصِ لَا بِالتَّمْوِيهِ .

[ثُمَّ قَالَ] :

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى قَضَاءِ الْقَضَاةِ بِالرِّيِّ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ بِهَا فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَحُمِلَ تَابُوتُهُ إِلَى جُرجانَ فَدُفِنَ بِهَا .

مِمْيَّةُ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُرْجَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِأَيَّامِنَا بَيْنَ الْكَثِيبَيْنِ فَالْحِمَى
وَوَصَلٍ وَصَلْنَا بَيْنَ أَعْطَافِهِ الْمُنَى
صَحْبَنَا بِهِ شَرَحَ الشَّبَابِ فَدَلَّنَا
فَلَمْ نَرْضَ فِي أَخْلَاقِنَا التُّصْحَ مَذْهَبًا
إِذَا شَاءَ غَاوٍ قَادَ لِحُظَا مُوَزَّعًا
أَعْيَى عَلَى الْعُدَالِ أَوْ خَلَّ بَيْنَنَا
وَطَيْفٍ تَحَطَّتْ أَعْيُنُ النَّاسِ وَالْكَرَى
تَنَسَّسَ رِيَّاهُ وَكَشَّرَهُ بِهِ
وَعَزَّ عَلَى الْعَيْنَيْنِ لَوْلَمْ تُرْعَبَا
وَلَمَّا غَدَا وَالْبَيْنُ يَقْسِمُ لِحُظَّهُ
فَمَنْ قَائِلٍ لَا آمَنَ اللَّهُ حَاسِدًا
بَدَتْ صُفْرَةٌ فِي وَجْنَتَيْهِ فَلَمْ تَزَلْ
سَقَى الْبَرْقِ أَكْنَافَ الْحِمَى كُلَّ رَائِحٍ
إِذَا أَسْبَلَتْ عَيْنَاهُ لَمْ تَبْقَ رِبْوَةٌ
تُسَالِبُهَا أَنْفَاسُهَا نَفْسُ الصَّبَا
كَأَنَّ أَبَا عَمْرٍو تَخَلَّلَ رَوْضَهَا
إِذَا زَادَتْ الْأَيَّامُ فِينَا تَحْمُلًا

وَطَيْبٍ لِيَالِنَا الْحَمِيدَةَ فِيهِمَا
بِرَدِّ زَمَانٍ كَانَ لِلَّهِو تَوَامَا
عَلَى خُلْسٍ أَفْضَى إِلَيْهِنَّ نَوْمَا
وَلَا اللَّوْمَ فِي أَسْمَاعِنَا مُتَلَوَّمَا
عَلَى غَيْهِ أَوْ شَافَ قَلْبًا مُقَسَّمَا
تُرِيكَ دُمُوعِي أَفْصَحَ الْقَوْلِ أَبْكَمَا
إِلَى نَاطِرٍ يَلْقَى التَّبَارِيحَ مِنْهُمَا
تَتَأْفُصُ صُوءَ الْبَدْرِ فِي جِهَةِ الْحِمَى
مِنَ الطَّيْفِ فِي الْإِمَامَةِ أَنْ تُهُومَا
عَلَى مُكْمَدِ أَعْضَى وَرَأْسِ تَبَسَّمَا
وَقَائِلَةٍ لَا رَوْعَ الْبَيْنِ مُغْرَمَا
مَدَامِعُهُ حَتَّى تَشْرَبَّتَا دَمَا
إِذَا قَلِقَتْ فِيهِ الْجُنُوبُ تَرْتَمَا
مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَهِيَ فَاعْرَةٌ فَمَا
وَتُهِدِي إِلَيْهَا الشَّمْسُ شَيْئًا مُسَهَّمَا
فَفَاحَ بِهِ عَرْفًا وَأَشْرَقَ مَبْسَمَا
وَحَيْفًا عَلَى الْأَحْرَارِ زَادَ تَكْرُمَا

إِذَا هَابَ بَعْضُ الْقَوْمِ ظُلْمًا أَظْلَهُ
 سَقَى اللَّهُ دَهْرًا سَاقِي لِحَوَارِهِ
 تَجَلَّتْ مَسَاعِي أَوْلِيهِ فَأَقْدَمَا
 سَأَشْكُرُ مَا تُؤَلِيهِ قَوْلًا وَنِيَّةً
 وَإِنْ كَانَ مَشْغُوفًا بِظُلْمِي مُتِيْمًا
 فَسَحَتْ رَجَائِي بَعْدَ ضَيْقِ مَجَالِهِ
 فَإِنْ قَصَّرَا نَابَ اعْتِدَارِي عَنْهُمَا
 وَمَا زِلْتُ مُنْحَازًا بِعِرْضِي جَانِبًا
 وَأَوْضَحْتَ لِي قَصْدِي وَقَدْ كَانَ أَظْلَمًا
 إِذَا قِيلَ هَذَا مَشْرَبٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى
 مِنْ الدَّمِّ أَعْتَدُ الصِّيَانَةَ مَغْنَمًا
 أَنَهْنِهَهَا عَنْ بَعْضِ مَا لَا يَشِينُهَا
 وَلَكِنَّ نَفْسَ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا
 فَأُصْبِحُ مِنْ عَيْبِ اللَّئِيمِ مُسَلِّمًا
 مَخَافَةَ أَقْوَالِ العِدَا فِيمَ أَوْلِمَا
 وَقَدْ رُحْتُ مِنْ نَفْسِ الكَرِيمِ مُعْظَمًا
 مُسَامِرَةَ الأَطْمَاعِ إِنْ بَاتَ مُعْدِمًا
 رَأَوْا رَجُلًا عَنْ مَوْقِفِ الدُّلِّ مُحْجَمًا
 وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أَكْرَمًا
 بَدَا طَمَعُ صَيْرْتُهُ لِي سُلْمًا
 لِأَخْذِمَ مَنْ لَاقَيْتُ لَكِنْ لِأَخْذِمَا
 إِذَنْ فَاتَّبَاعُ الجُهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمًا
 وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي التُّفُوسِ لَعَظَمَا
 مُحْيَاهُ بِالأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمَا
 كَبَا حِينَ لَمْ يُحْرَسَ حِمَاهُ وَأُسْلِمَا
 أَقْلَبُ كَفِّي إِثْرَهُ مُتَدَمِّمًا
 وَإِنْ مَالَ لَمْ أَتْبِعْهُ هَلَا وَلَيْتَمَا
 يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْتِقَابُ وَإِنَّمَا
 أَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمْ هَانَ عِنْدَهُمْ
 وَلَمْ أَفِضْ حَقَّ العِلْمِ إِنْ كَانَ كَلَّمَا
 وَلَمْ أَبْتَدِلْ فِي خِدْمَةِ العِلْمِ مُهَجَّتِي
 أَشَقَى بِهِ عَرَسًا وَأَجْنِيهِ ذَلَّةً
 وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ
 وَلَكِنْ أَذَالُوهُ فَهَانَ وَدَنَسُوا
 فَإِنْ قُلْتَ جَدُّ العِلْمِ كَابٍ فَإِنَّمَا
 وَإِنِّي إِذَا مَا فَاتَنِي الأَمْرُ لَمْ أَبِثْ
 وَلَكِنَّهُ إِنْ جَاءَ عَفْوًا قَبْلْتُهُ

وَأَقْبِضْ خَطْوِي عَنْ حُطُوطِ كَثِيرَةٍ
 وَأُكْرِمُ نَفْسِي أَنْ أَصَاحِكَ عَابِسًا
 وَكَمْ طَالِبِ رُفِي بِنُعْمَاهُ لَمْ يَصِلْ
 وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لَاحَ لِي يَسْتَفْرِئُنِي
 وَلَكِنْ إِذَا مَا اضْطَرَّنِي الْأَمْرُ لَمْ أَرْزُلْ
 إِلَى أَنْ أَرَى مَنْ لَا أَغْصُ بِذِكْرِهِ
 وَإِنِّي لَرَاضٍ عَنْ فَتَى مُتَعَفِّفٍ
 يَبِيتُ يُرَاعِي النَّجْمَ مِنْ سُوءِ حَالِهِ
 وَلَا يَسْأَلُ الْمُثْرِينَ مَا بِأَكْفِهِمْ
 فَكَمْ نِعْمَةٌ كَانَتْ عَلَى الْحُرِّ نِقْمَةً
 وَمَاذَا عَسَى الدُّنْيَا وَإِنْ جَلَّ قَدْرُهَا
 عَلَى أَنَّنِي لَوْلَمْ أُعِدَّ لِحَرْبِهَا
 فَكَيْفَ وَعِنْدِي كُلُّ مَا يَمْنَعُ الْفَتَى
 وَلَيْسَ بِبِدْعٍ مِنْ غُلَاكِ عِنَايَةٌ
 يُقَرِّبُ مِنِّي مَا تَبَاعَدَ وَانْتَأَى
 وَمَنْ لَقِيَ الْأَمْلاكَ مِنْكَ لِمَوْعِدٍ
 إِذَا كَانَ بَعْضُ الْمَدْحِ لَفْظًا مُجَرَّدًا
 وَمَا سَاعَدَ الْقَلْبُ الْوُدُودَ لِسَانُهُ
 إِذَا لَمْ أَنْلَهَا وَافِرَ الْعِرْضِ مُكْرَمًا
 وَأَنْ أَتَلَقَّنِي بِالْمَدِيحِ مُذَمَّمًا
 إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ الرَّئِيسَ الْمُعْظَمًا
 وَمَا كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ أَرْضَاهُ مُنْعَمًا
 أَقَلَّبُ فِكْرِي مُنْجِدًا ثُمَّ مَثِمَمًا
 إِذَا قُلْتُ قَدْ أَسَدَى إِلَيَّ وَأَنْعَمًا
 يَرُوحُ وَيَغْدُو لَيْسَ يَمْلِكُ دِرْهَمًا
 وَيُصْبِحُ طَلْقًا ضَاحِكًا مُتَبَسِّمًا
 وَلَوْ مَاتَ جُوعًا غُصَّةً وَتَكْرَمًا
 وَكَمْ مَغْنَمٍ يَعْتَدُهُ الْمَرْءُ مَغْرَمًا
 يَنَالُ بِهَا مَنْ صَيَّرَ الصَّبْرَ مِعْصَمًا
 سِوَاكَ لَقَدْ كُنْتُ الْمَصُونِ الْمُحْرَمًا
 بِهِ عِرْضُهُ مِنْ أَنْ يُضَامَ وَيُهْضَمَا
 تُسَهِّلُ لِي مَا أَعْنَتَ الْمُتَجَهَّمَا
 وَيَخْفِضُ نَحْوِي مَا تَصَاعَدَ وَاسْتَمَى
 تَجَنَّى عَلَيَّ آكَامِهِ وَتَحَكَّمَا
 ضَمَمْتُ إِلَى لَفْظِي ضَمِيرًا مُسَلَّمًا
 عَلَى مِدْحَةٍ إِلَّا أُطِيعَ وَحُكَّمَا

تَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَمَنْنِهِ